التصميم الفني والتقنية المستخدمة في تصاوير المخطوطات الاسبانية في القرن الثالث عشر الميلادي

د/ هانى محمد محمد صبرى

مدرس بقسم تاريخ الفن – كلية الفنون الجميلة - جامعة حلوان

مقدمة :

تعتبر المخطوطات الاسبانية من أهم ما أنتجته اسبانيا فى العصور الوسطى وبالأخص في القرن الثالث عشر الميلادي اي في عهد الملك **الفونسو العاشر (Alfonso X)** الملقب بالعالم والحكيم **(El Sabio)** [1] ، لما تحمله تلك المخطوطات من ثقافة وفنون وتراث اثرت بها على اوروبا في تلك الفترة ، وكانت بمثابة الجسر الذى يربط اوروبا فى العصور الوسطى بالثقافة والفنون الإسلامية بشكل عام والمنتشرة في اسبانيا في تلك الفترة بشكل خاص ، ويرجع الفضل في ذلك الى حركة الترجمة التى أهتم بها الأسبان بعدما أسس الملك **ألفونسو السادس (Alfonso VI)** [2] في مدينة **طليطلة (Toledo)** في القرن الثاني عشر الميلادي ما يعرف بأسم **مدرسة المترجمين الطليطليين (Escuela de Traductores de Toledo)** ، والتي عهد إليها بنقل أمهات الكتب العربية في مختلف العلوم إلى اللغة اللاتينية والتي كانت لغة الدين والدولة والعلم في الممالك الاسبانية ، وبذلك استمرت مدينة **طليطلة (Toledo)** في دورها الثقافي ، فأصبحت وسيطاً من أهم وسائط الثقافية العربية الإسلامية إلى جميع أرجاء القارة الأوروبية ، وسرعان ما تحولت هذه المدينة العريقة إلى دار ترجمة كبيرة من الثقافة العربية الإسلامية إلى اللغة اللاتينية ، وتوافد عليها الباحثون والمتعطشون للمعرفة من مختلف أنحاء أوروبا .

---

(1) ألفونسو العاشر (بالإسبانية Alfonso X de Castilla y León) المشهور بلقب الحكيم (بالإسبانية:el Sabio) (طليطلة, 23 نوفمبر 1221م إشبيلية, 4 أبريل 683هـ/1284م) ملك قشتالة وليون (650–683هـ/1252–1284م)، أصغر أبناء فرديناند الثالث وحفيد الامبراطور فيليب السوابي، وعرف في المدونات العربية بالأذفونش. مارس سياسة انفتاح على الأدب والفكر الشرقيين. ورغم مخاصمته العرب سياسياً، فقد بلغ الاهتمام بالثقافة العربية في عهده ذروته .

(2) ألفونسو السادس (بالإسبانية : Alfonso VI) يونيو 1040م – 1 يوليو 1109م (ملك ليون من سنة 1065 م إلى 1109 م وملك قشتالة منذ سنة 1072م) .

DOI:10.12816/0044310

The art design and technique used in illustrated Spanish manuscript in the thirteenth century AD

Dr. Hany mohamed mohamed sabry

Lecturer at Art History Department, Faculty of Fine Arts, Helwan University

Spanish manuscripts are considered as the most important Spanish productions in the Middle Ages and especially in the thirteenth century AD, during the reign of King Alfonso X also Known as (The wise - El Sabio) , this is due to the fact that these manuscripts contain culture, arts and heritage that affected Europe in that period, it served as the bridge linking medieval Europe to Islamic culture and art in general and which was widespread in Spain during this period, this is thanks to the translation movement which interests the Spaniards After Alfonso VI founded The Toledo School of Translators in the city of Toledo in the twelfth century AD.

The research begins with a historical introduction on the city of Toledo through its geographical location and its cultural and political role in the history of Christian Spain and after the Islamic request and until it was reclaimed by the Spaniards by King Alfonso VI in 1085 AD, the research also examines this important event, which is considered one of the most important events in Spanish history in the Middle Ages and an important turning point in the cultural and artistic movement after the founding of Alfonso VI of the School of Translators in Toledo, which was entrusted with the translation of the mother of Arabic books in various sciences into Latin, Toledo became a center of Islamic culture in Christian Spain and continued its cultural and artistic role during the reign of King Alfonso X, known as the 13th century.

The research deals with the design and the technique used in the manufacture of Spanish manuscripts in the 13th century through the selection of the researcher of the manuscripts of The songs (Las Cantigas) and it contains about 2800 scenes in the form of images, and these manuscripts are exceptional pieces in Europe, and the images become models form and show us how to set up a special art school Especially for those images in terms of design and technical and explained to us the operational stages that passed, thanks to the fact that there is a manuscript of Florentine that has not yet been completed, we can document and define the operational stages of the manuscript, and we have reached this through studying and analyzing some of the pages of the manuscript, which contains images in unfinished stages and other stages in progress, we can also deduce the style and technique in the design and manufacture of these Spanish manuscripts in the 13th century, as well as the manuscript of the Games (Libro De Los Juegos) to know how they colored and painted those manuscripts.

The Research Problem: Is there a role for the city of Toledo and the school of translators in the Spanish manuscripts manufacture in the Middle Ages? Is there a special art painting school for those Spanish manuscripts in the Middle Ages?

Are there any advantages to these manuscripts in terms of design and technique used for the stages of implementation of the images?

The Research Objectives: Studying and analyzing the stages of design and technique used in the manufacture of Spanish manuscripts in the 13th century.

This research importance: The study can be in addition to the Arabic library, Its topic has not taken sufficient study artistically, since the previous studies concerned in the manuscripts of this period in terms of historical and cultural only.

مدينة طليطلة (Toledo)

مدينة اسبانية أندلسية عريقة في القدم تقع على بعد 75 كيلو متر من مدريد العاصمة الأسبانية ، وتقع على مرتفع منيع تحيط به أودية وأجراف عميقة ، تتدفق فيها مياه نهر تاخو (**El río Tajo**) ، ويحيط وادي تاخو بطليطلة من ثلاث جهات مساهما بذلك في حصانتها ومنعتها، واسم طليطلة تعريب للاسم اللاتيني " **توليدوث** " (**Tholedoth**) وكان العرب يسمون طليطلة مدينة الأملاك لأنها كانت دار مملكة القوط ومقر ملوكهم ولا يخفى على أي مهتم بتاريخ الأندلس عامة وبفترة ملوك الطوائف على وجه الخصوص الدور الذي لعبته مدينة طليطلة في تفعيل الأحداث السياسية بالأندلس ، نظراً لموقعها الاستراتيجي الموجود في منحنى نهر التاخو (Rio Tajo) حيث عرفت (بالثغر الأوسط) المتاخمة حدودها للممالك الإسبانية المسيحية ، واعتبارها بذلك حاجز الدولة الإسلامية وجناحها الشمالي الأوسط ضد العدوان المسيحي [1].

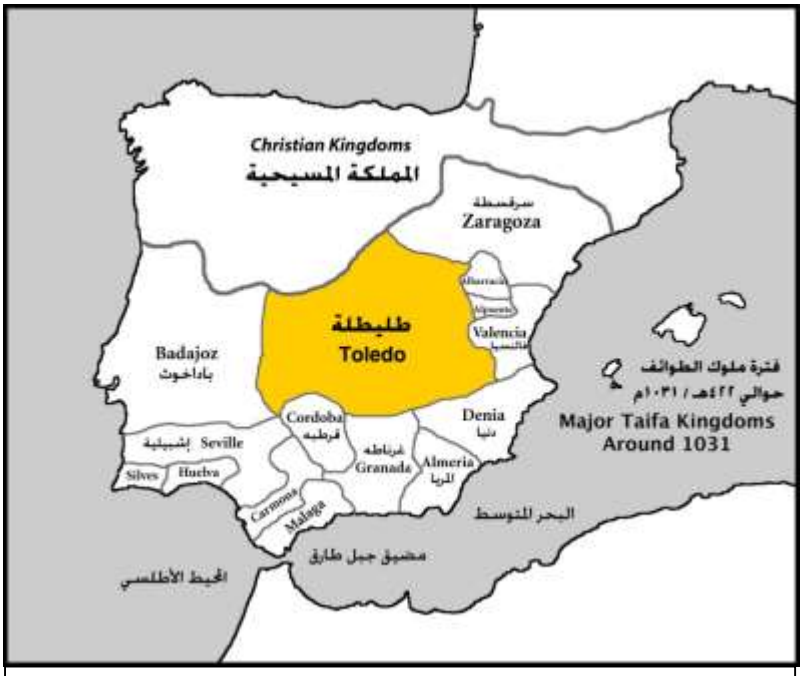

شكل (1) أثناء حكم ملوك الطوائف وذلك في 422هـ / 1031م

أصبحت مدينة طليطلة إحدى القواعد الإسلامية الهامة بعد الفتح الإسلامي للأندلس (اسبانيا والبرتغال حالياً) ، فبلغت قمة ازدهارها وتقدمها أيام الحكم العربي الإسلامي وخصوصاً أثناء حكم ملوك الطوائف الذي قام على أنقاض الدولة الأموية ، وذلك في 422هـ / 1031م (شكل1) ، حيث احتضنت طليطلة أسرة قوية تعاقبت على حكمها، وهي أسرة بني ذي النون الذين تمكنوا من تكوين أكبر دول الطوائف فيها، ساعدهم في ذلك موقعها الاستراتيجي ووفرة مواردها ، فاكتسبت مناعتها من انتصاراتها على كثير من ملوك الطوائف ؛ كما اكتسبت أهمية في ميداني التعليم والثقافة حيث كانت تضم علماء وفقهاء وأدباء أفذاذاً تجمعوا بهذه المدينة لاعتبار أساسي هو رد موجة الثقافة المسيحية نظراً لقربها من المملكة الإسبانية ، فأضحت من القواعد الكبرى للثقافة العربية الإسلامية في الأندلس ، فكانت بذلك سداً معرفياً منيعاً [2] في مواجهة الثقافة الاسبانية المسيحية .

(3) محمد عبد المنعم الحميري: الروض المعطار في جنة الأقطار، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الثانية، بيروت، 1984، ص ص. 393 . 394.

(1) سيمون الحايك : «طليطلة مدينة الثقافة والترجمة»، مجلة العربي، عدد 315، فبراير 1985، ص. 67.

استرداد طليطلة من الحكم الإسلامي ودورها السياسي والاجتماعي والثقافي

لقد كان استيلاء ملك ليون وقشتالة ألفونسو السادس (Alfonso VI) على مدينة طليطلة سنة 1085م من أهم أحداث التاريخ الإسباني في العصور الوسطى ، فقد كان له نفس الصدى الذي حدث عن سقوط هذه المدينة، يوم كانت عاصمة القوط الغربيين القديمة في أيدي المسلمين[1] وازداد أهتم الاسبان بمدينة طليطلة وأصبحت ذلك الجسر الذى يمد أوروبا بالثقافة والفنون العربية ، وأستمرت مدينة طليطلة (Toledo) في العطاء والقيام بدورها الثقافى والفني ، فأصبحت وسيطاً من أهم وسائط الثقافية العربية الإسلامية إلى جميع أنحاء القارة الأوروبية في ذلك الوقت ، حيث أدرك ألفونسو السادس (Alfonso VI) أهميتها وفاعليتها في هذا الميدان ، لأنها سرعان ما تحولت إلى دار كبيرة لترجمة الثقافة العربية الإسلامية إلى اللغة اللاتينية، حيث توافد عليها الباحثون والمتعطشون للمعرفة من مختلف أنحاء أوروبا ، فقد كان من أهم أعمال ألفونسو السادس (Alfonso VI) تأسيسه لمدرسة المترجمين التي عهد إليها بنقل أمهات الكتب العربية في مختلف العلوم إلى اللغة اللاتينية وبالسهر على إشاعتها، وقد استعان على ترجمة الكتب العربية إلى اللغة اللاتينية بكبار المتخصصين من المسلمين واليهود والنصارى، لأن اللاتينية كانت لغة الدين والدولة والعلم في الممالك النصرانية كافة، وقد كان لهذه المدرسة دور هام في إيقاظ أوربا من سباتها العميق وإخراجها من ظلمات الجهل والتعصب إلى نور العلم والمعرفة، بما تناقله العلماء بشتى الأقطار من نتاج الحضارة العربية وما اقتبسوه عنها من وسائل البحث وطرائق الاكتشاف، وبفضل ما استخرجوه من الكتب، ويقول رواة التاريخ الإسباني خلال هذه القرون السبعة الأخيرة إن أولئك العلماء من مسلمين ويهود قد نهضوا بالمهمة المسندة إليهم على أحسن وجه بما أنجزوا من عمل النقل وتعليم الترجمة والإشراف عليها فكان فضلهم على النهضة الإسبانية كبيراً [2].

وكان من أهم رجال هذه المرحلة الهامة والحاسمة في تاريخ اسبانيا الراهب رايموندو دا ساوباتيت Raymond de (Sauvetât) (1125- 1152م) أسقف طليطلة وكبير مستشاري ملوك قشتالة الذي أدرك أنه لا مفر من معرفة ودراسة العلوم الإسلامية التي لا تعرف المسيحية منها آنذاك إلا القشور، ووضع خطة لترجمة أمهات الكتب العربية ترجمة علمية عن طريق النخبة الوافدة على إسبانيا والمستقرين بها من اليهود والمسلمين والدارسين لشتى العلوم الإسلامية وعلى رأسها الفلسفة، ولعب رايموندو دورًا هامًا في إدخال النصوص العربية في دوائر الدراسة الغربية، وبخاصة في مجالات الفلك والقوانين، وهو الحدث الذي أثر بشكل جلي على أوروبا كلها بشكل عام وعلى اسبانيا بشكل خاص واستغل الأسقف رايموندو الوضع الاجتماعي الذي تعايش فيه المسيحيين والمسلمين واليهود وقام برعاية مشاريع الترجمة الثقافية المختلفة التي عمل عليها جماعة من المترجمين والكتاب، استجابة لرغبة القصور الملكية في أوروبا المسيحية وبلغت الكتب التي ترجمها ما يزيد على خمسة وسبعين (75) كتاباً وموسوعة، وكان فعله هذا حدثاً حاسماً كان له أبعد الأثر في مصير أوروبا في تلك الفترة، فقد تولى الأسقف رايموندو رعاية جماعة من المترجمين والكتاب، تعرف في تاريخ الأدب "بمدرسة المترجمين الطليطليين" (Toledanos Colegio de Traductores) او معروفة باسم (Escuela de traductores de Toledo) ، وحفز أفرادها على المهمة في نقل المؤلفات العربية، فتمت في هذه المدرسة ترجمة عيونها في الرياضيات والفلك والطب والكيمياء والطبيعة والتاريخ الطبيعي وما وراء

(2) يوسف أشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، ط. 2، القاهرة، 1958، ص. 60.

(1) عبد اللطيف الخطيب، ألفونسو السادس ومدرسة المترجمين بطليطلة، مجلة دعوة الحق، المغربية، العدد السابع، السنة الثانية عشرة، يونيو 1969، ص ص. 69 . 70؛ وكذا: «حول مدرسة المترجمين بطليطلة»، دعوة الحق، العدد السابع، السنة الثالثة، أبريل 1960، ص ص. 58 . 59.

الطبيعة وعلم النفس والمنطق والسياسة، ومنها **"أورجانون"** [1] لأرسطو وشروح المسلمين عليه أو مختصراتهم له، وهي شروح ومختصرات جليلة وضعها فلاسفة مسلمون من أمثال الكندي والفارابي وابن سينا والغزالي وابن رشد [2]

مدرسة المترجمين الطليطليين (Escuela de traductores de Toledo)

منذ استيلاء ملك ليون وقشتالة ألفونسو السادس (Alfonso VI) على مدينة طليطلة سنة 1085م هذا الحدث الهام والذي يعتبر من أهم أحداث التاريخ الإسباني في العصور الوسطى ونقطة تحول مؤثرة في الحركة الثقافية والفنية بعد تأسيس ألفونسو السادس (Alfonso VI) لمدرسة المترجمين التي عهد إليها ترجمة أمهات الكتب العربية في مختلف العلوم إلى اللغة اللاتينية ، ومن تلك الفترة اصبحت مدينة طليطلة مركزاً للثقافة الإسلامية في إسبانيا المسيحية ، كما استمرت مدينة طليطلة في تقديم دورها الثقافي والفني في عهد الملك ألفونسو العاشر (Alfonso X) ملك كاستيا (Rey de Castilla) الملقب بالعالم والحكيم (El Sabio) وذلك في القرن الثالث عشر الميلادي ، والذي اعتلى العرش سنة 643هـ/1245م وتوفي سنة 683هـ/1284م ، وكان فعلاً عالماً محباً للثقافة والفن ومجالسة المهتمين بها ، فقد مارس سياسة انفتاح على الأدب والفكر الشرقيين ، وعلى الرغم من مخاصمته العرب سياسياً ، فقد بلغ الاهتمام بالثقافة العربية في عهده ذروته ، فكان علمي التفكير ، ونظرته إلى الثقافة نظرة إنسانية شاملة ، وكان يفصل في أعماق الحقيقة بين قوميته الإسبانية ، وبين قيمة الحضارة العربية الإسلامية العظيمة ، التي حاول أن يحافظ على معطياتها ، ورغم ما بدأت تتميز به تلك العهود في الممالك الأخرى من حقد على العرب ، وظلت إسبانيا في عهده مستعربة إلى حد بعيد ، وتعاون هو شخصياً مع العلماء المسلمين في كافة المجالات ، واستفاد من ميراث العرب الثقافية ، استفاد من علومهم وآدابهم ، ومثل خلفاء العرب أحاط نفسه بالأدباء والعلماء [3].(شكل2)

(2) تجمع كلّ مؤلفات أرسطو في المنطق تحت اسم" الأورجانون" ، وتعني كلمة "أورجانون" الأداة ، لأنَّ تلك المؤلفات كانت تبحث عن موضوع الفكر، الذي هو الأداة أو الوسيلة للمعرفة

(3) أنخيل غونثاليث بالينثيا، تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، ط. 1، مطبعة النهضة المصرية، القاهرة ، ص. 537.

(1) ناديا ظافر شعبان، ألفونسو العاشر والإسلام، المجلة العربية السعودية، عدد مزدوج، 4 . 5 ، ماي 1979، ص 110 . 112.

(شكل 2) مملكة كاستيا في القرن 13م

وبهذا يكون ألفونسو العاشر قد اقتفى أثر العرب في إقبالهم على نقل تراث الفرس والإغريق إلى اللغة العربية أيام خلافة المأمون العباسي (198-218ه / 814-833م) الذي اعتنى بالترجمة والتأليف انطلاقاً من (بيت الحكمة) [1] الذي أنشأه والده هارون الرشيد (149-193ه / 766-809م) ببغداد ، حيث جمع فيه المؤلفات العربية والمخطوطات للترجمة ، وشكل مجموعة من المترجمين لنقل العلوم من اللغات اليونانية والفارسية والهندية والقبطية والآرامية ، وأسند هذا الملك العالم مهمة ترجمة الكتب العربية القيمة بالأندلس إلى اللغة الإسبانية الناشئة آنذاك إلى أساتذة المدرسة الطليطلية المشهورة وطلابها، وكان من بينهم بعض من النصارى والمسلمين واليهود المتحققين بشتى العلوم حوله ، وقد أشرف بنفسه على توجيه أعمال الترجمة والتحرير أو التلخيص التي كان مساعدوه يقومون بها، وأنشأ في مرسية معهداً للدراسات بمعاونة القرطبي الفيلسوف المسلم ، ولم يوفق هذا المعهد المرسي كثيراً ، فنقله إلى إشبيليا وأنشأ فيها مدرسة عامة للاتينية والعربية ، وجعل فيها أساتذة من المسلمين لتدريس الطب والعلوم[2].

وقد ترجمت في عهد الملك الفونسو العاشر العديد من المؤلفات إلى اللغة الإسبانية وكان من أهمها كتاب **"كليلة ودمنة"** وقسم من مؤلفات ابن رشد ، كما أمر كذلك بترجمة كتب في ألعاب شرقية كـ**"كتاب الشطرنج"** (Juego de Ajedrez) واستخدم الموسيقى الأندلسية في وضع أناشيده الذائعة الصيت في اشهر المخطوطات وهي مخطوطة اغانى او اناشيد القديسة ماريا (Las Cantigas de Santa Maria) [3] أما في ميدان التأليف، فقد كان جهده عظيماً بحيث جمع في طليطلة من أهل العلم ليصنفوا له كتب علم الفلك، وقد تمكن هؤلاء العلماء من النهوض والتقدم بالدراسات الفلكية بفضل مشاهداتهم ونقولهم وما قاموا به من أعمال علمية أخرى ، وكان الملك الفونسو العاشر كثيراً ما يشرف بنفسه على الأعمال التي كانت تجري في مدرسته الطليطلية ، وكان يأمر بترجمة ما يرى نقله من الكتب العربية خاصة ويقوم بترتيبها بنفسه وخاصة ما يأتى منها بنظريات جديدة تعدل مذهب بطلميوس في الفلك والجغرافية ، وأمر كذلك بصنع آلات وأجهزة لم تكن معروفة فى ذلك الحين ، وكان يراجع ما ينجز من الترجمات ويصلح من أسلوبها ، ويتجلى ذلك بوضوح من مقدمة ما يعرف (بالأوامر الخاصة) بكتب النجوم الأربعة ، فقد جاء

---

(2) بيت الحكمة عبارة عن مؤسسة علمية في بغداد وهو إحدى المؤسسات التي حازت على لقب (جامعة) ، ولقد أنشئ في عصر هارون الرشيد (170–193هـ) وازدهر في عصر ابنه المأمون ، بذلك كان بيت الحكمة خزانة كتب، ومركز ترجمة، والتأليف ومركز للأبحاث ورصد النجوم، ومن أهم ما ميز بيت الحكمة هو تعدد وتنوع المصادر وهي الكتب القديمة والتراجم والكتب العلمية والادبية.

(3) أنخيل غونثاليث بالينثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص. 573 . 574.

(1) أنخيل غونثاليث بالينثيا : تاريخ الفكر الأندلسي ، ص. 574.

فيها : هذا هو كتاب **"هيئات النجوم الثابتة الكائنة في السما الشافية"** ، مما أمر بترجمته من الكلدانية والعربية إلى الإسبانية الملك دون ألفونسو، بعد أن رتبها الملك المذكور وأمر بتصنيفها ثم استبعد منها الآراء التي وجد أنه قد تقادم بها العهد أو تكررت في الكتاب ، والعبارات التي لم يكن أسلوبها قشتاليّاً قومياً ووضع محلها عبارات أخرى تفي بالمراد، أما كتب علم الفلك هذه ، فتتألف من:

1- الكتب الأربعة في نجوم الفلك الثامن.

2- الكتب الألفنسية في أجهزة علم الفلك وأدواته وكتبه.

3- كتاب الزيج الألفونسي.

إن الكثير من الكتب التي استعملت في هذه التآليف كانت نقولاً عن الزرقالي ومسلمة المجريطي وعلي بن خلف فلكي المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة وغيرهم كثير[1]، كما نشطت في عهده وتحت إشرافه كتابة التاريخ على الطريقة الحولية اقتداء بالطريقة الإسلامية في تدوين التاريخ، فدونت عدة حوليات من أشهرها **"الحولية التاريخية الكبرى لإسبانيا"** التي كتبت باللغة القشتالية، واعتمد واضعوها على مصادر تاريخية عربية ككتاب **"البيان الواضح في الملم الفادح"** للمؤرخ البلنسي ابـن علـقمـة المتوفى سنة 509هـ / 1115 م.

لقد كان فضل ألفونسو العاشر على الثقافة والفكر الإسباني عظيماً، لم يضاهه فيه ملك آخر من بعده، علماً بأن الثقافة الإسبانية خاصة والأوربية عامة مدينة لهذا الملك ومدرسته الطليطلية، في حين كان غيره من الملوك في شبه الجزيرة الإبيرية يطعمون النيران بأحسن ما أنتجته العبقرية العربية في قرونها الزاهرة.

أهم المخطوطات التاريخية المصورة في اسبانيا في القرن 13م

هناك نسختين من مخطوطات الاغاني (Las Cantigas) تحتوي على حوالي 2800 مشهد على هيئة تصاوير ، ولذلك تعتبر هذه المخطوطات قطع استثنائية في أوروبا ، واصبحت تلك الالاف من المشاهد المصورة نماذج تشكل وتوضح لنا كيف انشأت مدرسة تصويرية خاصة لتلك التصاوير المميزة من حيث التصميم والتقنية المستخدمة وكذلك وضحت لنا الخطوات والمراحل التنفيذية التي مرت بها التصاوير ، وبفضل وجود مخطوطة فلورنتين التي لم تنتهي ولم يكتمل العمل فيها ، يمكننا توثيق وتحديد المراحل التنفيذية التي مرت بها تصاوير المخطوطة ، وقد توصلنا الى ذلك من خلال دراسة وتحليل بعض صفحات المخطوطة التي يوجد بها تصاوير في مراحل غير منجزة او مكتملة ومراحل اخرى قيد التنفيذ ، واصبح يمكننا ان نستنتج الاسلوب والتقنية المستخدمة في تصميم وصناعة تلك المخطوطات الاسبانية في القرن الثالث عشر الميلادي ، ونستطيع القول ان مراحل تصميم وتنفيذ المخطوطة تم من خلال سبع (7) خطوات تنفيذية وسوف نستعرضها على النحو التالي :

الخطوة الأولى : يجهز ورق البرشمان وهو مصنوعة من جلد البقر أو الحيوانات الأخرى، ويتم تصنيعها خصيصًا للكتابة عليه ، وتنقع الجلود في الماء، ويتم نزع عنها الشعر باستخدام الحجر الجيري ثم تدخل عملية تنظيف لإزالة البشرة واللحم مع بقاء أدمة باطن الجلد وتكشط وتغسل وتشد حتى تجف وتدعك بالطباشير حتى يتم الحصول على الأوراق اللازمة لصنع المخطوطات التي

(2) أنخيل غونثاليث بالينثيا ، المرجع السابق ، ص. 574 . 576.

عُرفت منذ القِدم، وفي المخطوطات الهامة كان يستخدم نوع من جلود الحمل [1] ، وبعد تجهيز ورق البرشمان يتم تقطيعه وتثبيته على طاولة مَسامِيرُ بها علامات لتحديد واعطاء اشارة لتسهيل عملية التعريشة ، وبعدها يتم عمل اطار داخلي مزدوج لمحيط الصفحة.

وتقسم الصفحة الى ستة إطارات متساوية ، وترسم هذه الخطوط بشكل مزدوج بواسطة الحبر (Tinta) تاركة بين الخطين مساحة محددة فارغة يتم زخرفتها فيما بعد بواسطة اشكال ورود ودروع (rosetas y escudos) بشكل مكرر ، وهذا هو شكل الاطار الذي يحدد جميع المشاهد المصورة داخل كل صفحة ، اي ان هذه الإطارات المزخرف هي التي تحد وتفصل بين الستة مشاهد المصورة المتساوية في الحجم داخل كل صفحة ، ويتكرر ذلك في كل صفحة من صفحات المخطوطة (شكل 3).

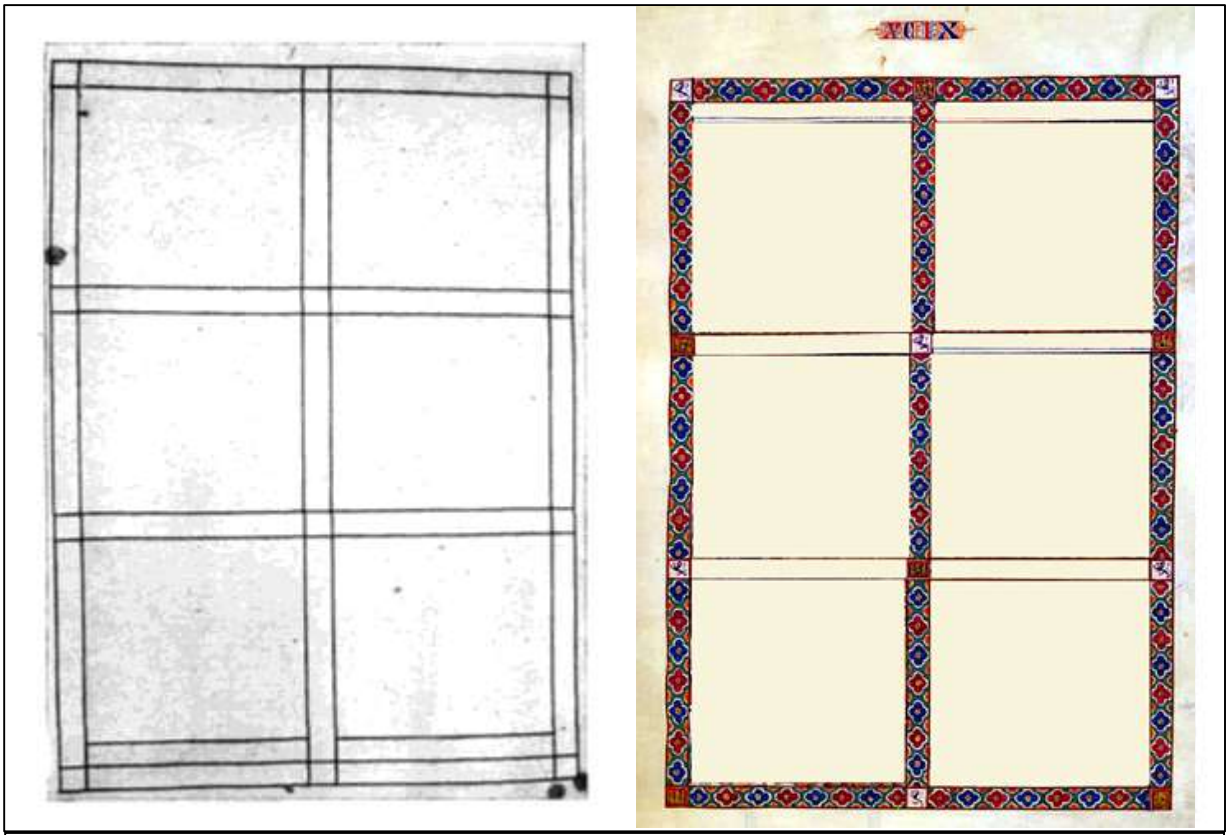

(شكل 3) تقسم الصفحة الى ستة إطارات متساوية فارغة ويتم زخرفتها لتفصل بين الستة مشاهد المصورة بالتساوي

(1) Pedraza Gracia, Manuel José; Clemente, Yolanda; Reyes, Fermín de los (2003), El libro aontigu. Madrid, p.54.

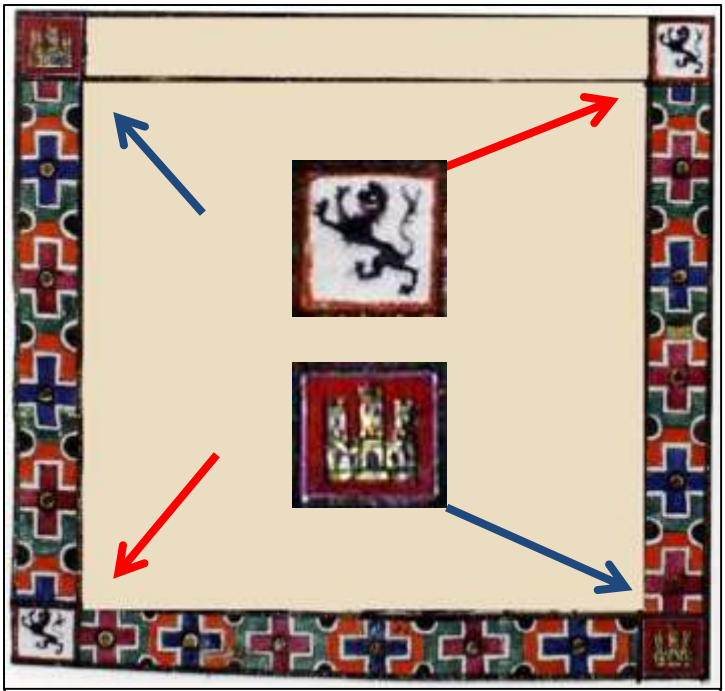

(شكل 4) أشكال رمزية في اغلب الاحيان على شكل قلاع أو اسود

الخطوة الثانية : بعد ذلك يقوم مساعدين رئيس العمل (المُعلّم) بزخرفة ورسم ورود ودروع (rosetas y escudos) في المساحات الفارغة داخل هذه الاطارات المزدوجة المرسومة في محيط الصفحة ومنتصفها لتصبح الصفحة بعد زخرفة الإطارات مقسومة الى نصفين او عمودين متساويين بطول الصفحة، تاركين أثنى عشر مربعاً فارغاً تم تكوينهم عند تقاطع الخطوط المزدوجة المقسمة للصفحة في شكل ستة إطارات متساوية ، وفيما بعد سيتم زخرفة الأثنى عشر مربعاً بزخارف وأشكال رمزية في اغلب الاحيان ستكون على شكل قلاع أو اسود (castillos y leones) كما هو موضح (شكل 4).

الخطوة الثالثة: يقوم رئيس العمل (المُعلّم) برسم تخطيطي للتصميمات داخل المربعات الستة المقسمة في صفحة المخطوطة وذلك باستخدام قلم رصاص (lápiz de plomo) [1]، اما بالنسبة لشواهد وخطوات العمل لهذه المرحلة فتعتبر اصعب من حيث الرصد وتتبع تلك الخطوات ، وكان لعامل الزمان دور في ذلك ، فنجد مثلاً في احدى تصاوير مخطوطة الأغاني (Las cantigas) التصويرة رقم 319-أ (cantiga 319-a) بقايا ثمينة (شكل 5) ، فالرسم الموجود بالرصاص يكاد ان يختفي لكن ورقة المخطوطة تحتفظ بآثر بصمة غارقة لتصميم ، وبمساعدة واستخدام ضوء يخدش (luz rasante) تمكن من نسخ ذلك التصميم ، وهنا عند مشاهدة المشهد نستطيع ان نلاحظ الكيفية التي تتم بها تخطيط ورسم الاشخاص والمكمل من تفاصيل تسريحات الشعر والازياء وتفاصيل اخرى ، وقد رسمت شخصية ملقاة على السرير كما لو كانت عارية ثم تم كِسَاؤُهُ بواسطة الرسم والتظليل بالقلم الرصاص ، كما

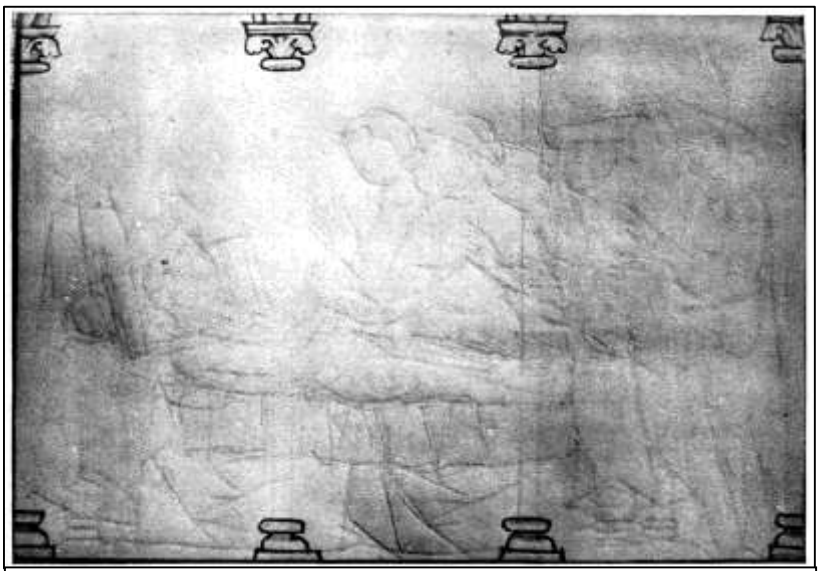

(شكل 5) تصويرة 319-أ من مخطوطة الاغاني بقايا رسم تخطيطي للمُعلّم

(1) Gonzalo Menendez Pidal :La España del El Siglo XIII, ,Real Academia de la Historia , Madrid , 1986, p. 26.

نشاهد رَجُلاً واقفاً في مواجهة شخصية ملقاة كان الوجه في بداية الامر بيضاوي الشكل ثم تم إضافة تفاصيل للمخطط ورسمت الناصية.

الخطوة الرابعة : كما نستطيع ان نلاحظ ايضاً في نفس التصويرة السابق ذكرها في الخطوة الثالثة كيفية الحفاظ على المساحة والمجال المحيط بالشخصيات داخل التصميم ، ويبدأ استخدام الحبر (Tinta) في رسم العناصر المعمارية المحيطة ، ومع ذلك تركت مهاوي الأعمدة دون تحبير في انتظار تلوين الشخصيات داخل التصميم المرسوم ، وعلى ما يبدو أن خطوة التذهيب (الزخرفة بماء الذهب) تتم عملها في هذه المرحلة ، ان التصويرة رقم 319 (cantiga 319) المشار إليها أعلاه قد انتهت مرحلة التحبير فيها بالنسبة للعناصر المعمارية في مربع (أ-a ، ب-b ، د-d ، هـ-e) (شكل 6) وتم ذلك في كافة المشاهد المرسومة داخل المربعات في الصفحة (ومن المحتمل أن يرسم داخل المربعان (ج-c) و(و-f) مناظر طبيعية) وقد تم تذهيب النسيج المعلق على المذبح في المشاهد المصورة.

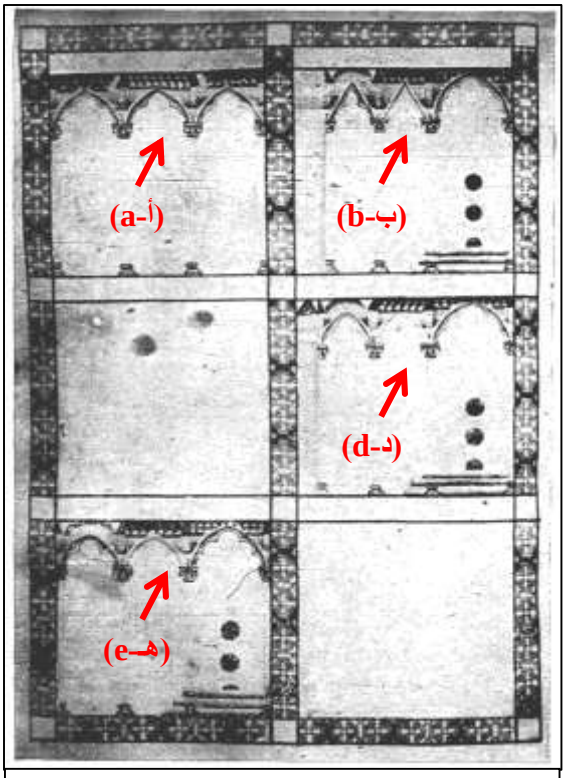

(شكل 6) التصويرة 319 وانتهاء مرحلة التحبير للعناصر المعمارية في مربع (أ-a، ب-b، د-d، هـ-e

الخطوة الخامسة : ومن الملاحظ أن هناك أوقات يبدو فيها واضحاً أن الفنان الذي رسم ولون الأبنية المعمارية ترك متعمداً المناطق التي سترسم فيها المناظر الطبيعية أو حديقة أو أي عنصر نباتي أو حتى إشارة إلى النهر أو البحر كما هو موضح في التصويرة رقم 319 (cantiga 319) التي نلاحظ فيها انه تركت مربعات (ج-c) و(و-f) بيضاء ليتم رسم فيها مناظر طبيعية مستوحاه من غابات الموجودة في اسبانيا مثل غابات سيغوفيا (Segovia) [1] ، كما هو موضح في التصويرة رقم 103 مربع (ج) (cantiga 103-c) مشهد في وسط الغابة حيث الاشجار المختلفة والصخور والازهار المتنوعة (شكل 7) واظهار جزء بسيط من مبنى .

(شكل 7) تصويرة رقم 103(ج) مشهد في وسط غابة

(1) Gonzalo Menendez Pidal :La España del El Siglo XIII, p. 27.

ونجد في التصويرة رقم 100 مربع (هـ) (cantiga 100-e) منظر مركب في مياه البحر (شكل 8) حيث تظهر الامواج وفي الجانب الايمن بناء على شكل قصر وابراج مدببة على الطراز القوطي وجزء من الارض ، كما نجد الالوان بتدرجات مختلفة وبالذات في الامواج اللون الازرق الفاتح في السطح لتعطي ايحاء بالحركة، وهناك تصويرة اخرى وهي التصويرة 142 مربع (ب) (cantiga 142-b) حيث نجد منظر طبيعي لبحيرة بها بعض الطيور في وسط غابة من الاشجار مع اظهار طبيعة الارض الصخرية واشكال مختلفة من الازهار (شكل 9) وهنا نجد اختلاف في الألوان والخطوط في تصميم التصويرة عنها في التصويرة السابق وخصوصاً في المياه فتظهر المياه هنا باللون الازرق الداكن لكي تعطي ايحاء بالسكون والركود مقارنتاً بالتصويرة السابقة التي استخدم فيها اللون الازرق الفاتح بدرجات مختلفة للإيحاء بحركة امواج البحر ، وكذلك الخطوط المنحنية للمياه فنجدها اقل في الانحناء والتموج لتعطي الايحاء بضعف الحركة وطبيعة المياه داخل البحيرات عكس التصويرة السابقة حيث ظهرت الخطوط اكثر تموجاً للإيحاء بطبيعة حركة مياه البحار وتلاطم الامواج ، ويبدو لنا بعد متابعة تصاوير كثيرة من مخطوطة الاغاني (Las Cantigas) وكذلك الادوار الموزعة على فريق العمل والتدرج في اخراج التصاوير كما لو كان رسم المباني يعد أسهل في الرسم والتصميم من رسم وتصميم المناظر الطبيعية التي تبدو أكثر صعوبة وتعقيداً في الاخراج وتوزيع واختيار العناصر والالوان لما تحمله المناظر الطبيعية من تنوع في العناصر ما بين اشجار ونباتات وبحار وانهار وجبال وطيور وحيوانات [1].

(شكل 8) تصويرة رقم 100 مربع (هـ) منظر مركب في مياه البحر

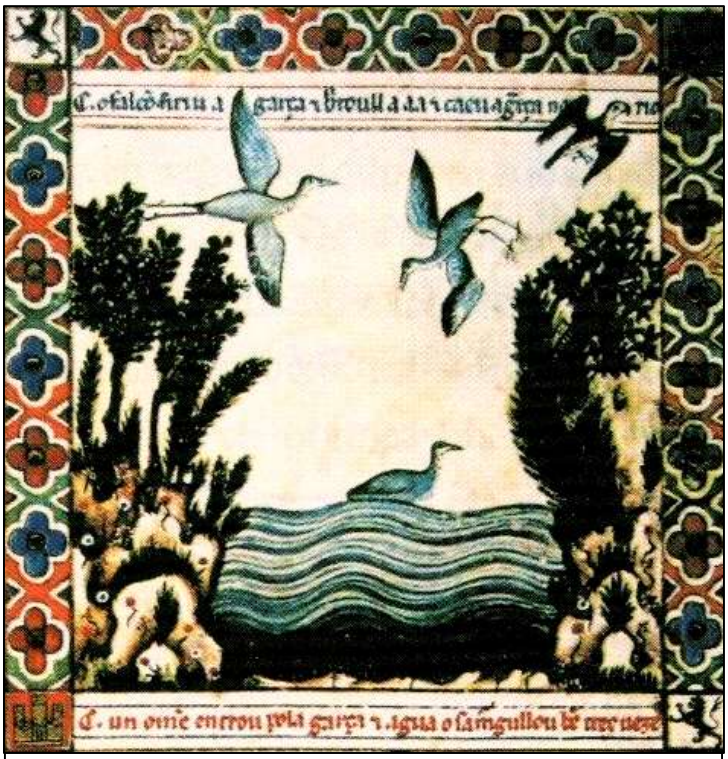

(شكل 9) التصويرة 142 مربع (ب) منظر طبيعي لبحيرة وطيور

(1) Gonzalo Menendez Pidal :La España del El Siglo XIII, p. 27.

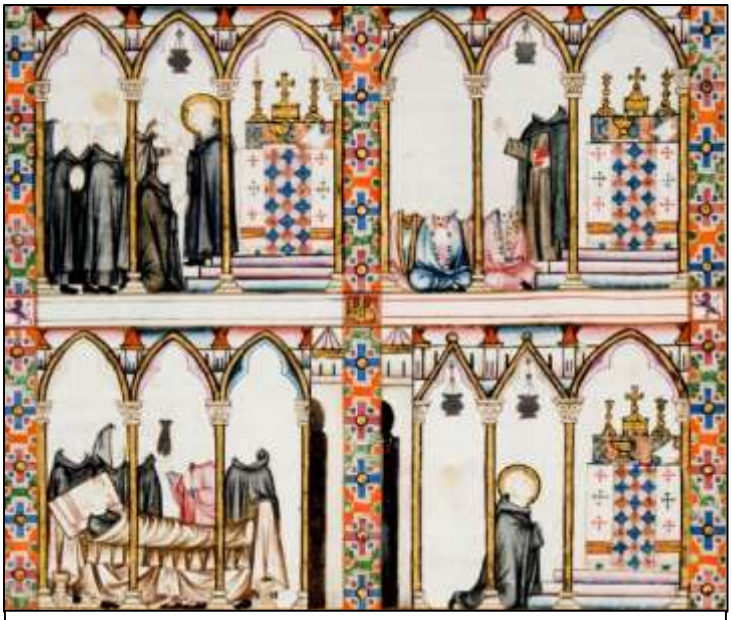

(شكل 10) جزء من التصويرة 32 (cantiga 32)

الخطوة السادسة : وتعتبر هذه الخطوة هي المرحلة قبل الأخيرة ويقوم بتنفيذها من هم على درجة عالية من الخبرة في الرسم والتلوين لما تحتاجه هذه المرحلة من دقة ودراية عالية بطرز الازياء وخصوصاً في تلك الفترة من تاريخ اسبانيا حيث اجتمعت فيها ثقافات وديانات مختلفة ما بين يهودية ومسيحية وإسلامية لكل منها مظاهر وعادات وتقاليد مختلفة يجب مراعاتها في الرسم والتعبير عنها بدقة ، ففي هذه الخطوة يتم رسم الاشخاص ولكن في هذه المرحلة فقط كان ترسم الملابس وتترك الوجوه والأيدي لا تزال فارغة كما هو الحال بالنسبة للتصويرة رقم 32 (cantiga32) (شكل 10) وغيرها الكثير من التصاوير ومنها (226، 276، 258) (cantigas 226,276,258) حيث تظهر فيها الملابس فقط مرسومة وملونة دون الوجوه والأيدي.

الخطوة السابعة : في هذه المرحلة يتم فيها الانتهاء من التصويرة من قبل رئيس العمل (المُعلّم) ، الذي ينتهي من رسم وتلوين الوجوه والأيدي.

وقد تنقلت الاوراق المصورة من المخطوطة من فنان الى آخر وكان يتم ذلك حسب تخصصه كل فنان منهم ووفقاً لخطة عمل محكمة وتحت اشراف رئيس العمل (المُعلّم) الذي بدأ العمل وتدرج بعدها العمل في التصويرة من هم اقل خبرة متمثلة في مرحلة الزخرفة وتأتي بعدها من قاموا برسم الخلفيات المعمارية ومن بعدها المناظر الطبيعية والاشخاص وصولاً مرة اخرى الى رئيس العمل (المُعلّم) لينتهي من رسم الوجوه واليدين.

المتخصصون في رسم الوجوه والايدي (مُعلّم رسم الوجوه والايدي)

لكي يصل الفنان الى مرحلة رئيس العمل او (المُعلّم) لا بد من ان يمر بمراحل وتدرج في دوره في خطة عمل الموضوعة وما نقصده هنا هو انه لابد من ان يتعلم في مراحله الاولى بمرحلة زخرفة التصويرة ومن بعدها يبدأ في عمل الخلفيات منها الهندسي ومن بعدها النباتي الى ان يصل لمرحلة رسم الخلفيات المعمارية وصولاً الى رسم المناظر الطبيعية التي تحتاج اكثر حرفية وتمكن ثم ينتقل بعدها الى مرحلة رسم وتلوين وزخرفة ملابس الاشخاص التي تحتاج الى خبرة ومن بعدها ينتقل الى المرحلة القبل الاخيرة وهي مرحلة متخصص في رسم الوجوه والايدي وهى مرحلة يتدرب فيها ويعمل في انجاز المراحل الاخيرة في العمل الفني ويحتاج الى من يصل الى هذه المرحلة مهارة واتقان عالي وتدريب مكثف ليصل بعدها الى المرحلة الاخيرة وهي رئيس العمل او (المُعلّم) وهو من يقوم بوضع التخطيطات والتصميمات لتصاوير المخطوطة وكذلك يقوم بتحديد أدوار المساعدين وتقسيم العمل عليهم حسب قدرات وخبرات ومهارات كل منهم ويقوم بعدها بمتابعة الخطوات التي تمر بها تصاوير المخطوطة كما ذكرنها من قبل.

وهناك الكثير من الامثلة الدالة على أهمية دور رئيس العمل او (المُعلّم) في تاريخ صناعة تصاوير المخطوطات الخاصة بالملك الفونسو العاشر في تلك الفترة حيث انه عند التعاقد مع بيروجيت (Berruguete) كبير معلمي رسم الوجوه الايدي من سان بينيتو دي بلد الوليد اسبانيا (de San Benito de Valladolid) ، جعلوا من شروط التعاقد أن اليدين والوجوه يجب أن تكون من تنفيذه هو[1] ، دعونا نقول ان رئيس العمل او (المُعلّم) هو المحرك الرئيسي للعمل اي ضابط ايقاع العمل والقائد وموزع الادوار ، ونجد الكثير من تصاوير المخطوطات التي لم تكتمل ولم تمر بمراحل عمل كثيرة لكننا وجدنا اثر وبصمة رئيس العمل او (المُعلّم) الذي وضع التخطيط والتصميم الخاص بهذه التصويرة لكي تكون نقطة البداية والاساس لهذا العمل الفني (شكل 11).

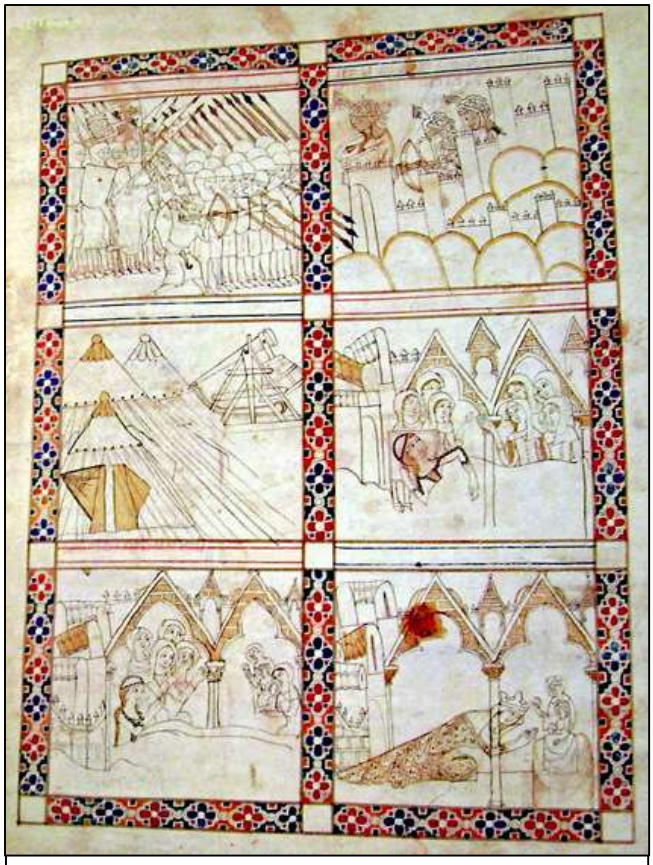

(شكل 11) تصويرة 256 (cantiga 256) لم تكتمل

كما ذكرت لنا المصادر التاريخية عن اسماء بعض الفنانين الذين قاموا بتنفيذ الكثير من المخطوطات الاسبانية في العصور الوسطى وكان ذلك حرصاً منهم على كتابة اسمائهم والتأكيد على دورهم الهام في تنفيذ تصاوير تلك المخطوطات بالغة الشهرة والأهمية في تاريخ اسبانيا في العصور الوسطى بشكل عام وفي تاريخ فن صناعة المخطوطات بشكل خاص وقد حرصوا النساخ والفنانين على كتابة اسمائهم في المخطوطات نفسها وكذلك رسم انفسهم في بعض المشاهد وهم ينسخون كنوع من التوثيق واثبات مشركاتهم في انجاز هذه الاعمال الضخمة (شكل 12) ، ويدل ذلك ايضاً على مدى الاهتمام بالفن وتقدير النساخ والفنانين في هذه الفترة في اسبانيا وبالذات فترة حكم الملك الفونسو العاشر في القرن الثالث عشر الميلادي الذي أدرك أهمية الاهتمام بالثقافة والفنون ولذلك شهدت هذه فترة ازدهار وتقدير لدور الفن والفنانين في النهوض بالذوق العام ورسخت بعض القيم الفنية وتأثرت بالحضارة الإسلامية المزدهرة في تلك الفترة .

(شكل 12) تصويرة من مخطوطة كتاب الالعاب (Libro de los Juegos F01V)

ومن أسماء بعض هؤلاء الفنانين والنساخ اندرس (D. Andrés) وله امضاء على تصويرة رقم 156-أ (156-a) ، بالاضافة الى بدرو لورنثو (Pedro

(1) Gonzalo Menendez Pidal :La España del El Siglo XIII, p. 28.

Lorenzo) وكتب عنه السرعة والمهارة في الرسم وانجز تصاوير في مخطوطة الاغاني (Las Cantigas) وكذلك خوان بيريز (Juan Pérez) رسام ملك اشبيلية ، بدرو دي بمبلونة (Pedro de Pamplona) ويعد ناسخ ورسام [1] .

طريقة التلوين في تصاوير المخطوطات الاسبانية في القرن الثالث عشر الميلادي

نستطيع أن نلاحظ بوضوح من خلال دراستنا لتصاوير المخطوطات الاسبانية في القرن الثالث عشر الميلادي وبالأخص تصاوير المخطوطات الخاصة بالفونسو العاشر كمثال لتلك المرحلة ان هناك طرق مختلفة بالنسبة لأسلوب تلوين تلك التصاوير من الناحية التقنية ومن ناحية الخطة اللونية الموضوعة والمتبعة في توزيع الالوان في تصاوير تلك المخطوطات .

فمن الناحية التقنية المستخدمة في تلوين تصاوير المخطوطات الخاصة بالفونسو العاشر هناك طريقتان مختلفتان تماماً ، فنجد في كتاب الالعاب Libro de los Juegos [*] كمثال يغطي اللون كل الخلفية دائماً بالكامل ، فنلاحظ في هذه الطريقة ان الفنان يقوم بتلوين الخلفية بشكل كامل حتى في الأماكن المحدد لها ان ترسم فيها الشخصيات والعناصر في التصميم ، وذلك اعتماداً على أن لون الأزياء والاجساد والعناصر الاخرى عندما توضع سوف تتداخل تماماً لتغطي لون الخلفية الملونة بلون واحد ، وهذا هو ما يمكننا أن نرصده في جميع التصاوير الخاصة بكتاب الالعاب Libro de los Juegos وخصوصاً التصاوير التي تم استخدام فيها اللون الأزرق من قبل الفنان ليغطي الخلفية تماماً بهذا اللون (شكل 13).

وسوف نجد على العكس من ذلك تماماً في الاسلوب والتقنية المستخدمة في تصميم وتلوين تصاوير مخطوطة الاغانى Las Cantigas حيث تظهر وتشف الالوان المرسومة اللون الأصلي لورقة المخطوطة كما يظهر شفافية اللون الأبيض العاجي الخاص بورقة المخطوطة (اللون الاصلي) من تحت

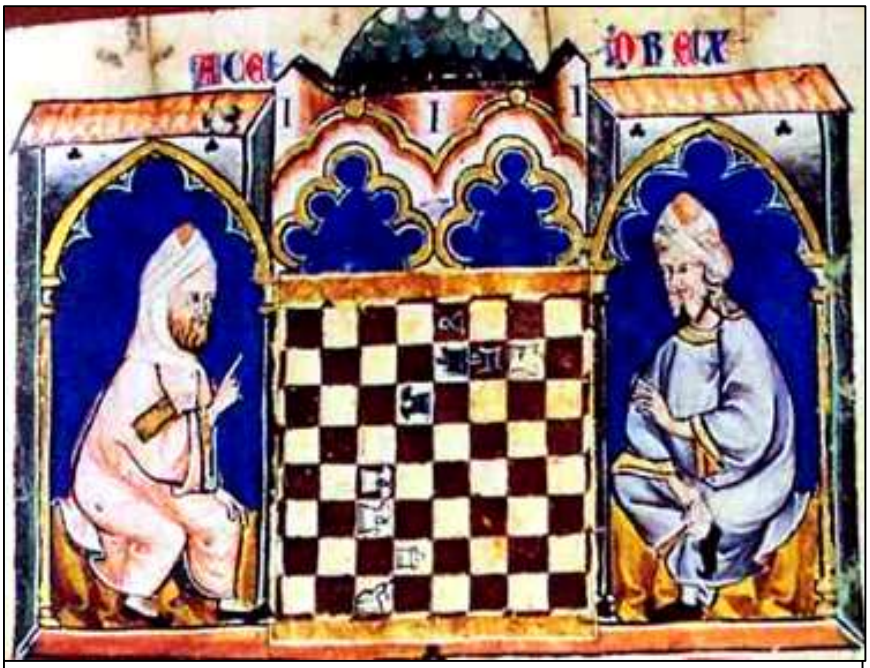

(شكل 13) تصويرة من مخطوطة كتاب الالعاب (Libro de los Juegos F44R)

(1) Gonzalo Menendez Pidal :La España del El Siglo XIII, p. 35.

(*) تم نسخ كتاب الالعاب Libro de los Juegos بتكليف من الملك الفونسو العاشر في الفترة ما بين 649-682هـ / 1251م-1283م ويتكون الكتاب من 97 صفحة مع 150 منمنمة ملونة ويشتمل الكتاب على العاب الشطرنج والزهر بالإضافة الى لعبة الطاولة ، ويحتوى الكتاب على اقدم وصف لهذه الالعاب ، بالإضافة الى بعض الالعاب المأخوذة من الممالك المسلمة ، ويعد هذا الكتاب هو واحد من أهم وثائق البحث في هذه الالعاب ، وهو محفوظ في مكتبة دير الاسكوريال بالقرب من مدريد.

تلك الالوان المرسومة (شكل 14) ، ويدل ذلك على قلة كثافة اللون وأنه تم وضع اللون بشكل مباشر على الورقة دون وجود أي لون بشكل مسبق أي عدم وجود لون للخلفية قبل الرسم والتلوين ، واستغل الفنان بذلك شفافية الالوان على ورقة المخطوطة بالإضافة الى لون ورقة المخطوطة الأبيض العاجي (الأصلي) لإعطاء درجات لونية متعددة لتستخدم في تلوين الوجوه والملابس وباقي العناصر الاخرى الموجودة في تصاوير مخطوطة الأغاني Las Cantigas واعطاء لها ثراء لوني نظراً لتعدد الألوان والدرجات اللوني المستخدمة.

(شكل 14) تصويرة من مخطوطة الاغاني (Las Cantigas)

اما بالنسبة للون الأبيض الموجود في تصاوير مخطوطة الالعاب Libro de los Juegos فإنه يتم خلطه مع الألوان الأخرى لكى يعطى شفافية وإضاءة ويتم استخدام ذلك نظراً لوجود خلفية داكنة وكثافة اللون بعد تشرب الورقة بلون الخلفية ، اما عن اللون الابيض في مخطوطة الأغاني Las Cantigas فيأتي استخدامه فقط في تلوين بياض العين بالنسبة لوجوه الاشخاص او للحصول على اللون الأبيض في الأقمشة والحجارة ...الخ ، ولكن الفنان في هذه الحالات يستغل شفافية اللون الأبيض ايضاً كباقي الالوان الاخرى التي تشف لون الخلفية الأبيض العاجي الخاص بورقة المخطوطة (الأصلي) لتعطى درجات لونية متعددة.

واما بالنسبة للتذهيب المستخدم فسوف نلاحظ أيضا وجود اختلافات من حيث التقنية في استخدامه ، فسنجد مثلاً في التصاوير الخاصة بمخطوطة الاغانى Las Cantigas أن استخدام التذهيب يأتي في المراحل الاولى المبكرة من تنفيذ العمل الفني قبل المناظر الطبيعية ، والملابس، أو حتى الوجوه كما هو مخطط له من قبل رئيس العمل او (المُعلّم) ، في حين أن في تصاوير مخطوطة كتاب الألعاب Libro de los Juegos يأتي فيها التذهيب بشكل مفروض حيث يتم وضعه على طبقات مختلفة من الألوان [1] .

(1) Gonzalo Menendez Pidal , op.cit. , p. 28,29.

النتائج والتوصيات :

1- في هذه الدراسة سعى الباحث الى التأكيد أن المخطوطات الاسبانية هي من أهم ما أنتجته اسبانيا في العصور الوسطى وبالأخص في القرن الثالث عشر الميلادي في عهد الملك الفونسو العاشر ،

2- التأكيد على أهمية حركة الترجمة التي أهتم بها الأسبان بعدما أسس الملك ألفونسو السادس في مدينة طليطلة في القرن الثاني عشر الميلادي ما يعرف باسم مدرسة المترجمين الطليطليين والتي من خلالها اجتمعت الثقافات المختلفة (اليهودية والمسيحية والإسلامية) لترجمة أمهات الكتب العربية في مختلف العلوم إلى اللغة اللاتينية.

3- استمرار دور مدينة طليطلة الثقافي وخصوصاً في القرن الثالث عشر ، فأصبحت وسيطاً من أهم وسائط الثقافية العربية الإسلامية إلى جميع أرجاء القارة الأوروبية وتحولت إلى دار ترجمة للثقافة العربية الإسلامية إلى اللغة اللاتينية ، وتوافد عليها الباحثون من مختلف أنحاء أوروبا .

4- كما أثبتت الدراسة أهمية المخطوطات التاريخية المصورة في اسبانيا في القرن 13م من خلال رسوم مخطوطة الأغانى Las Cantigas فيما يتعلق بالتكوينات ومعالجة الخلفيات ومفردات العناصر المعمارية وكذلك الموضوعات والعناصر التصويرية بشكل عام وكذلك مراحل التصميم والتقنيات وأسلوب تنفيذ العمل من خلال خطة يتم الاتفاق عليها بين فريق العمل بقيادة رئيس العمل (المُعلّم) وكذلك دور كل فنان في فريق العمل.

5- كما تناولت الدراسة طريقة التلوين في تصاوير المخطوطات الاسبانية في القرن الثالث عشر الميلادي وذلك من خلال نموذجين من تصاوير المخطوطات في القرن الثالث عشر الميلادي كتاب الالعاب Libro de los Juegos و مخطوطة الأغانى Las Cantigas وتم رصد الاختلافات في التقنية المستخدمة.

ويوصي الباحث بمزيد من الدراسات والأبحاث في مجال المخطوطات في العصور الوسطى وبالاخص في اوروبا لأنه هناك القليل من الدراسات باللغة العربية في هذا المجال .

المراجع العربية والمترجمة :

- أنخيل غونثاليث بالينثيا : تاريخ الفكر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، ط. 1، مطبعة النهضة المصرية، القاهرة .

- سيمون الحايك : طليطلة مدينة الثقافة والترجمة، مجلة العربي، عدد 315، فبراير 1985.

- عبد اللطيف الخطيب : ألفونسو السادس ومدرسة المترجمين بطليطلة، مجلة دعوة الحق، المغربية، العدد السابع، السنة الثانية عشرة، يونيو 1969.

- محمد عبد المنعم الحميري : الروض المعطار في جنة الأقطار، تحقيق إحسان عباس، الطبعة الثانية، بيروت، 1984.

- ناديا ظافر شعبان، ألفونسو العاشر والإسلام، المجلة العربية السعودية، عدد مزدوج، 4 - 5 ، ماي 1979

- يوسف أشباخ : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين، ترجمة محمد عبد الله عنان، ط. 2، القاهرة، 1958.

المراجع الاجنبية

- Menendez Pidal (Gonzalo), La España del siglo XIII ,Real Academia de la Historia , Madrid , 1986.

- Pedraza Gracia, Manuel José; Clemente, Yolanda ;Reyes, Fermín de los (2003), El libro aontigu. Madrid.